المبحث الأول

رأي الاشاعرة في صفة الكلام

أولا :اثبات صفة الكلام لله تعالى

يثبت الاشاعرة (رحمهم الله) صفة الكلام تبعا للامام الاشعري (رحمة الله) الذي اثبت الصفات السبع وهي:ان الله تعالى عالم بعلم ،وحي بحياة ،وقادر بقدرة ومريد بأرادة، ومتكلم بكلام، وسميع بسمع، وبصير ببصر وهذه الصفات ازلية قائمة بذاته ليست عينه ولا غيره[1] اي ان الصفات السبع التي تسمى بالصفات الذاتية او صفات المعاني او الصفات الثبوتية الازلية هي :

(١)**القدرة** ، (٢)**الارادة** ، (٣)**الحياة** ، (٤)**العلم** ، (٥)**السمع** ، (٦)**البصر** ، (٧)**الكلام** .

وفي هذا التعريف عدة قيود

القيد الاول : قولهم متكلم بكلام هو صفة له احترزوا عن قول المعتزلة من ان الله تعالى متكلم بكلام قائم بغيره وليس صفه له .

ويرد على المعتزلة ،بأن الضرورة تقتضي بامتناع اثبات المشتق للشيء من غير قيام مأخذ الاشتقاق ،فاذا قلنا عالم اي ذات ثبت له العلم،وأذا قلنا متكلم اي ذات ثبت له الكلام.[2]

---

١ ينظر الملل والنحل: ٩٩/١.

٢ ينظر: شرح النسفية :٨٧-٩٠.

القيد الثاني : قولهم أزلية:ضرورة امتناع قيام الحوادث بذاته تعالى وفيه رد على الكرامية القائلين بجواز قيام الحوادث بذاته تعالى .[1]

القيد الثالث : قولهم ليس من جنس الحروف والاصوات : ضرورة انها أعراض حادثة مشروط حدوث بعضها بأنقضاء البعض،لأن امتناع التكلم بالحرف الثاني بدون انقضاء الحرف الاول بديهي ،وفي هذا رد على مبتدعة الحنابلة والكرامية القائلين بأن كلامه تعالى عرض من جنس الاصوات والحروف مع ذلك فهو قديم

القيد الرابع والخامس والسادس :الكلام صفة منافية للسكوت والافة:(صفة) أي معنى قائم بالذات ،(منافية للسكوت)الذي هو ترك التكلم مع القدرة علية،(والافة) التي هي عدم مطاوعة الالات اما بحسب الفطرة كما في الخرس أو بحسب ضعفها ،أو عدم بلوغها حد القوة كما في الطفولية .

القيد السابع : والله تعالى متكلم بها آمرٌ، ناهٍ، مُخبر : يعني انه صفة واحدة تتكثر الى الامر والنهي والخبر بأختلاف التعلقات كالعلم والقدرة وسائر الصفات فان كل منهما صفة واحدة قديمة والتكثر والحدود انما هو في التعلقات والاضافات[2] .

الدليل النقلي على ثبوت صفة الكلام :قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[3]

الدليل العقلي : يقول الامام الاشعري –رحمه الله – : (ان قال قائل : ولم زعمتم انه لو كان لم يزل غير متكلم لكان موصوفا بضد الكلام؟ قيل له : لان

١ ينظر شرح العقائد النسفية : ٨٧-٩٠

٢ ينظر شرح النسفية : ٨٧-٩٠.

٣ سورة النساء ، الاية : ١٦٤.

الحي اذا لم يكن موصوفا بالكلام كان موصوفا بضده..،[1] وصاغ هذا الدليل القاضي الباقلاني –رحمه الله– بقوله : (فان قال قائل : فما الدليل على انه سميع بصير متكلم ؟ قيل له : الدليل على ذلك انه قد ثبت انه حي بما وصفناه .، والحي يصح ان يكون متكلما سميعا بصيرا ، ومتى عرى من هذه الاوصاف مع صحة وصفه بها فلا بد من ان يكون موصوفا بأضدادها من الخرس ، والسكوت والعمى والصمم ، وكل هذه الامور افات قد اتفق على انها تدل على حدث الموصوف بها ، فلم يجز وصف القديم بشيء منها ، فوجب ان يكون سميعا بصيرا متكلما[2].

١ اللمع : ١٧

٢ التمهيد : ٤٧

ثانيا : القران كلام الله غير مخلوق.

يناقش الامام الاشعري – رحمه الله – مسألة خلق القران التي اثرت عن المعتزلة ، وكانت سبب المحنة المشهورة (بفتنة خلق القران) والتي امتحن بسببها العلماء والمحدثون والفقهاء وأوذوا وحبسوا ومن هؤلاء الامام احمد بن حنبل – رضي الله عنه – ، وبعضم ماتوا ، وقتلوا بسببها ومنهم محمد بن نوح مات في طريقه الى طرطوس اثناء وفاة المأمون ، ومات نعيم بن حماد في سجن الواثق ايضا[1] ومنهم ابو يعقوب البويطي –رحمه الله– صاحب الامام الشافعي –رضي الله عنه– قال الربيع : كنت عند الامام الشافعي انا والمزني وابو يعقوب البويطي فنظر الينا فقال لي انت تموت في الحديد ، قال الربيع فدخلت الى البويطي فرأيته مقيدا الى انصاف ساقيه مغلولة يعني يده الى عنقه ، قال البيقهي فكان كما تفرس[2].

وذلك لأنه كان شديدا على اهل البدع ذابا بالكلام عن اهل السنة فدعي في ايام الواثق الى القول بخلق القران فامتنع منه فأُتي به مقيدا من مصر الى العراق حتى مات في قيوده محبوسا ثابتا على دينه صابرا على ما اصابه من اذى رحمه الله ورضوانه عليه[3] . وللامام الاشعري (رحمه الله) في هذة المسألة التي اثرت عن المعتزلة تحقيق دقيق حولها من مسألة دامية الى مسألة بسيطة والخلاف فيها لفظي كما سيتضح ذلك . يقسم الاشاعرة (رحمهم الله) تبعا لامامهم الكلام الى لفظي ونفسي:

---

١ اللمع : ١٧

٢ يقصد كما تفرس الامام الشافعي (رضي الله عنه) من الفراسة يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) ((اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله)) سنن الترمذي ، ٥ / ٢٩٨

٣ تبيين كذب المفتري : ٣٤٨-٣٤٩.

أ - **الكلام اللفظي** : (هو الحروف والاصوات وهذا حادث غير قائم بذاته تعالى)[1]

ب - **الكلام النفسي** : (هو المعنى القائم بالنفس)[2] . (وكلام الله النفسي صفة قديمة كبقية صفاته القديمة ليس بحرف ، ولا صوت لانهما عرضان حادثان، ويستحيل اتصاف القديم بالحادث وهذا مذهب اهل الحق)[3].

يقول الامام الغزالي (رحمه الله) : ان (الانسان يسمى متكلما بأعتبارين إحداهما بالصوت والحرف ، والاخر بكلام النفس الذي ليس بصوت و حرف ، وذلك كمال وهو في حق الله تعالى الا كلام النفس ، وكلام النفس لا سبيل الى انكاره في حق الانسان زائدا على القدرة ، والصوت حتى يقول الانسان زورت في نفسي كلاما ، ويقال في نفس فلان كلام وهو يريد ان ينطق به ويقول الشاعر:

لا يعجبنك من اثير خطبــةٌ حتى يكون مع الكلام اصيلا

ان الكلام لفي الفؤاد وانمــا جعــل اللسان على الفــؤاد دليلا[4]

يقول الاشاعرة (رحمهم الله) : القران كلام الله تعالى غير مخلوق[5].

الدليل العقلي على كون القران الكريم كلام الله غير مخلوق يستدل الامام الاشعري (رحمه الله) على ذلك بدليل عقلي مستنبط من الدليل النقلي ومزجه للأدلة النقلية مع العقلية في مواضع اخرى ليس هذا محل بسطها ،

---

١ المواقف : ٨/٩٣.
٢ غاية المرام : ٩٧.
٣ شرح الزبد للشيخ احمد الرملي الانصاري : ١١
٤ الاقتصاد في الاعتماد ، للامام الغزالي : ٥٤-٥٥ ط١ مطبعة حجازي بالقاهرة.
٥ شرح العقائد النسفية : ٩١

فهو يسبك الدليل النقلي مع الدليل العقلي سبكا رائعا حيث يقول ان قال قائل : لم قلتم ان الله تعالى لم يزل متكلما وان كلام الله تعالى غير مخلوق ؟ قيل له : قلنا ذلك لأن الله تعالى قال ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾[1] فلو كان القران مخلوقا لكان الله تعالى قائلا له كن ، والقران قوله ويستحيل ان يكون قوله مقولا له ،لأن هذا يوجب قولا ثانيا والقول في القول الثاني وفي تعلقه بقول ثالث كالقول في القول الاول وتعلقه بقول ثان ، وهذا يقتضي ما لا نهايه له من الاقوال واذا فسد ذلك فسد ان يكون القران مخلوقا.

ولو جاز أن يقول لقوله لجاز ان يريد ارادته وذلك فاسد عندنا وعندهم واذا بطل هذا استحال أن يكون مخلوقا[2] يقول التفتازاني –رحمه الله– : (وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم (أي المعتزلة) يرجع الى اثبات الكلام النفسي ونفيه ، والا فنحن لا نقول بقدم الألفاظ والحروف ، وهم لا يقولون بحدوث كلام نفسي.)[3] لو ثبت عندهم[4] ... والحاصل : ان مذهب أهل الحق ان القران كلام الله غير مخلوق بمعنى ان المعنى القديم القائم بالذات المقدسة غير محدث ،لأن كلام الله تعالى صفته ، ويستحيل اتصاف القديم بالمحدث ، وذهب المعتزلة الى القول بخلق القران الكريم لكن لم يريدوا أن ذلك المعنى القديم القائم بالذات مخلوق لأنهم لا يثبتونه ، فيرجع الخلاف بين أهل السنة ، و المعتزلة الى اثبات الكلام النفسي أي المعنى

---

١ سورة النحل ، الاية : ٤٠

٢ اللمع : ١٥.

٣ شرح العقائد النسفية : ٩٢

٤ ينظر : شرح المقاصد ، المواقف : ٩٥/٨.

المذكور ونفيه اذا لا نزاع لأهل السنة في حدوث الكلام اللفظي ، ولا نزاع للمعتزلة في قدم الكلام النفسي لو ثبت عندهم ، وحينئذ فلا يحكم بكفر المعتزلة بسبب قولهم بخلق القران لما ذكرت من انهم لا يريدون الكلام النفسي .

ولم يزل السلف والخلف على الصلاة خلفهم ، ومناكحتهم وتوارثهم واجراء احكام المسلمين عليهم كما ذكره الشيخ محي الدين النووي (رحمه الله) حيث قال : "وقد تأول الامام الحافظ ابو بكر البيهقي وغيره من اصحابنا المحققين ما جاء عن الشافعي وغيره من اهل العلم من تكفير القائل بخلق القران على كفر النعمة لا كفر الخروج عن الملة . وحملهم على هذا التأويل ما ذكرته من اجراء احكام المسلمين عليهم ."[1] ومبنى تكفير المعتزلة في قولهم بخلق القران على الحديث الذي يوردونه ويروونه عن الرسول –صلى الله علية وسلم– حيث يقول :(كلام الله غير مخلوق ،ومن قال بانه مخلوق فقد كفر بالله العظيم) وهذا الحديث مطعون فيه ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، والسيوطي طعن في سنده بما لامزيد عليه.[2]

١ المعتقد الايماني شرح منظومة الشيباني ، للعلامة ابي البقاء الاحمدي ص ١٥-١٦

٢ ينظر الموضوعات ، ابن الجوزي ، ١٠٧/١ ، ط١ ، ١٣٨٦ه - ١٩٦٦م الناشر محمد عبد المحسن .